

تنوع الدراسات في البحث السوسيولوجي وطرق تحليلها

The diversity of studies in sociological research and methods of analysis

لعزازي فتيحة²

ايطاحين غنية¹

جامعة لونيبي علي البلدية 2، الجزائر

جامعة لونيبي علي البلدية 2، الجزائر

البريد الإلكتروني f.lazazi@univ-blida2.dz

البريد الإلكتروني g.itatahine@univ-blida2.dz

تاريخ التقييم: .../.../....

تاريخ الإرسال: .../.../....

تاريخ القبول: .../.../....

Abstract:

المخلص:

Sociology is concerned with the study of humankind within its social context and the analysis of relationships between individuals, groups, and institutions. It aims to understand social phenomena and human behaviors. To achieve this goal, researchers employ various types of sociological studies. These include descriptive studies, which describe phenomena as they are; analytical studies, which explore relationships between social variables; comparative studies, which compare different groups or societies; and experimental studies, which rely on researcher intervention to investigate the effect of one variable on another.

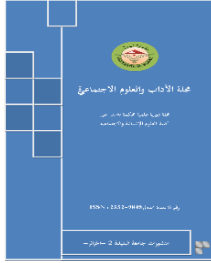
Analytical methods include quantitative analysis, which relies on numbers and statistics; qualitative analysis, which focuses on understanding social meanings and contexts through interviews and observations; and mixed analysis,

علم الاجتماع يهتم بدراسة الإنسان في سياقه الاجتماعي وتحليل العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات ، يهدف إلى فهم الظواهر الاجتماعية والسلوكيات البشرية لتحقيق هذا الهدف يستخدم الباحثون أنواعا متعددة من الدراسات السوسيولوجية ، تشمل هذه الأنواع الدراسات الوصفية التي تصف الظواهر كما هي والدراسات التحليلية التي تبحث عن العلاقات بين المتغيرات الاجتماعية والدراسات المقارنة التي تقارن بين جماعات أو مجتمعات مختلفة والدراسات التجريبية التي تعتمد على تدخل الباحث لدراسة اثر متغير على آخر.

أما طرق التحليل فتتضمن التحليل الكمي الذي يعتمد على الأرقام والإحصاءات، والتحليل النوعي الذي يركز على فهم المعاني والسياقات الاجتماعية من خلال المقابلات والملاحظات، بالإضافة إلى التحليل المختلط الذي يجمع بين الطريقتين للحصول على صورة شاملة للظاهرة

¹ ايطاحين غنية، لونيبي علي البلدية 2، g.itatahine@univ-blida2.dz

² لعزازي فتيحة، لونيبي علي البلدية 2، f.lazazi@univ-blida2.dz



مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية
ISSN : 2352-9849 EISSN : 2602-6929
المجلد 17 العدد 02 / ديسمبر 2024



which combines both methods to
obtain a comprehensive picture of
the phenomenon

1- مقدمة:

يعد علم الاجتماع من العلوم الاجتماعية الأساسية التي تهتم بدراسة الإنسان من خلال السلوك الاجتماعي، العلاقات بين الأفراد والمجموعات، والتفاعلات الاجتماعية، والعلاقات بين الأفراد والمجموعات، والتفاعلات الاجتماعية داخل البنى المختلفة ولكي يفهم الباحث الاجتماعي حقائق الحياة الاجتماعية وتفسيراتها يستخدم أنواعا متعددة من الدراسات وطرائق تحليل بيانات متنوعة تناسب مع طبيعة الظاهرة المدروسة وأهداف البحث.

إن فهم تنوع الدراسات السوسولوجية وطرق تحليلها ليس مجرد مسألة منهجية بل هو أيضا أداة أساسية لبناء المعرفة الاجتماعية الدقيقة والمبنية على أداة علمية، فالباحث الاجتماعي القادر على اختيار النوع المناسب للدراسة وطريقة التحليل الملائمة يتمكن من تفسير الظواهر الاجتماعية بموضوعية والمساهمة في إيجاد حلول للمشكلات المجتمعية القائمة.

2- أنواع الدراسات السوسولوجية:

تتنوع الدراسات السوسولوجية فمنها الدراسات الاستطلاعية (الاستكشافية)، الدراسات الوصفية، الدراسات التجريبية، بالإضافة إلى الدراسات التقييمية، مع التركيز على البحوث التجريبية والتي نستفيد منها في تخصص خدمة الفرد من خلال تقييم فعالية المداخل العلاجية المستخدمة، مع عرض تفصيلي لمناهج البحث في هذه دراسات والتي ترتبط خطوة تحديد نوع الدراسة بالهدف الذي يسعى البحث إلى تحقيقه، لذلك فإن نوع الدراسة يتحدد على مستويات المعلومات المتوفرة لدى الباحث وعلى أساس الهدف من البحث.

فإذا كان ميدان الدراسة جديدا لم يطرقه أحد من قبل، يقوم الباحث بإجراء دراسة استطلاعية (كشفية) تهدف أساسا إلى استطلاع الظروف المحيطة بالظاهرة التي يرغب في دراستها، أو يتمكن من صياغة المشكلة صياغة دقيقة لبحثها بحثا متعمقا في مرحلة تالية.

وإذا كان الموضوع محدداً عن طريق بعض الدراسات التي تمت في هذا الميدان أمكن القيام بدراسات وصفية بهدف تقرير خصائص الظاهرة، وتحديد ما تحديدا كميًا وكيفيًا، وإذا كان الميدان أكثر تحديدا استطاع الباحث أن يقوم بدراسة تجريبية لاختبار صحة الفروض وعليه يمكن تحديد أنواع الدراسات في بحوث الاجتماعية تبعا للهدف من البحث إلى بحوث استطلاعية وبعوث وصفية وبعوث تجريبية.

2-1 الدراسات الاستطلاعية:

يمثل البحث الاستطلاعي أحد صور البحث الاجتماعي، ويقف بمثابة حلقة أولى في سلسلة الحلقات التي تنقسم إليها هذه الصور المتباينة للبحث الاجتماعي، ويتخذ هذا النوع من البحوث وضعاً متميزاً بين غيره من البحوث الاجتماعية استناداً إلى مجموعة الأهداف التي يختص بتحقيقها دون غيره من أنواع البحوث الأخرى، وأهميته الجوهرية في ميدان النظرية الاجتماعية، بالإضافة إلى اعتماد أنواع البحث الاجتماعي الأخرى عليه. (عبد الناصر عوض احمد، 2019)

وتهدف البحوث الاستطلاعية إلى صياغة المشكلة بقصد التمهيد لبحثها بحثاً دقيقاً أو بقصد التعرف على أهم الفروض التي يمكن إخضاعها للبحث العلمي الدقيق، أو بقصد ترتيب الموضوعات حسب أهميتها الدراسية، ويستخدم هذا النوع كثيراً في بحوث الاجتماعية وخاصة في الميادين الجديدة التي لم يتطرق إليها الباحثون من قبل. (احمد مصطفى خاطر، 2008)

ويقصد بهذا النوع من الدراسات أنها تلك التي تمكن فيها الباحث عن طريق الكشف عن حلقات مفقودة أو غامضة في تسلسل التفكير الإنساني بوجه عام أن يساعد في الربط والتحليل والتغير العلمي الذي يضيف إلى المعرفة الإنسانية ركائز جديدة.

ويطلق عليها دراسة استطلاعية لأنها تهدف إلى استطلاع موقف غير محدد لان المجال جديدا وليست فيه دراسات كثيرة، ويطلق عليها دراسة كشفية وذلك لأنها تهدف إلى الكشف عن ظاهره غير محددة ويطلق عليها دراسة صياغة وذلك لأنها تساعد على صياغة مشكلة البحث بدقة بحيث يمكن دراستها دراسة متعمقة في الدراسات الوصفية أو التجريبية (السروجي، 2001)

2-2 الدراسات الوصفية:

والدراسة الوصفية هي دراسة تشخيصية تعتمد إلى تحديد الظاهرة كماً وكيفاً، وعلى مستوى الحاضر والماضي القريب أيضاً بما يحقق المعرفة الكاملة عن أبعاد وطبيعة الموقف المراد دراسته للتعامل معه بمسببات مسئولة في دراسات تجريبية تالية وهي تتضمن دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع.

كما تهدف الدراسة الوصفية تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف تغلب عليه صفة التحديد، وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها، وتصل عن طريق ذلك إلى إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها.

وتستهدف هذه الدراسات الحصول على معلومات كافية ودقيقة وحديثة عن موقف اجتماعي معين وبالرغم من أن معظم الوسائل في جمع المعلومات تصلح لهذه الدراسات، فيمكننا استخدام الاستقراءات و المقابلات الشخصية والملاحظة المباشرة... الخ، وبالرغم من هذا فإن هذه الدراسة من حيث اتجاهها تتصف بالتحديد بدرجة أكبر مما تتصف به الدراسة الكشفية فخطوات السير في الدراسات الوصفية والتشخيصية أكثر تحديداً منها في الدراسة الكشفية، وهي تستهدف تقويم موقف يغلب عليه التحديد، بينما هدف الدراسة الكشفية تخطيط معالم مشكلة ما غير محددة تماماً، ولذلك كانت الحاجة إلى اتخاذ الوسائل العلمية الكفيلة بتقليل التميز في البحوث الوصفية والتشخيصية أكبر بكثير منها في البحوث الكشفية (إحسان محمد حسن: 170).

بالرغم من أن الدراسات الوصفية قد تستخدم عدداً كبيراً من أدوات البحث إلا أن ذلك لا يمنع أنها لا تتميز بالمرونة التي تتصف بها الدراسات الاستطلاعية إذ يجب أن تخطط إجراءات البحث بدقة في الدراسة الوصفية، ومادام أن الهدف من الدراسة الوصفية هو الحصول على معلومات كاملة ودقيقة وحديثة، فينبغي أن يكفل تصميم البحث عدم التحيز بدرجة أكبر من التي تتطلب في الدراسة الاستطلاعية، والدراسات الوصفية تتطلب جهوداً كبيرة في البحث، لذلك ينبغي أن يضع الباحث نصب عينيه الاقتصاد في الوقت والمال والمجهود وهذه الاعتبارات جميعاً تؤثر في الواقع في جميع مراحل الدراسة، في صياغة أهدافها، وفي تصميم أدوات جميع البيانات، وفي اختيار العينة وفي جمع البيانات وتحليلها وأخيراً في كتابة التقرير النهائي، والدراسات الوصفية لا تقتصر على استخدام أداة من أدوات البحث، فهي قد تستخدم جميع أدوات البحث مثل استخدام المقابلات، والاستخبارات والملاحظة المباشرة المنظمة والملاحظة بالمشاركة وغير ذلك من أدوات.

2-3 الدراسات التجريبية:

وهي ذلك النوع من الدراسات الذي يهتم باختبار الفروض السببية، وهي أكثر أنواع الدراسات دقة وضبطاً وإمكانية التعميم فيها عالية جداً لصعوبة الإجراءات التي تتم للوصول إلى النتائج والتأكد من صحتها، وهذه النوعية من بحوث الدراسة التجريبية يطلق عليها بحوث تحديد المتغيرات في الدراسة الاستطلاعية، وكذا تحديد طبيعة العلاقات التأثيرية المتبادلة فيما بينها.

وتحاول الدراسات التجريبية توضيح كيف تعمل وحدة اجتماعية معينة حينما تتعرض لمثير تجريبي معين، وهذه الطريقة تتضمن ضرورة إيجاد شروط تتحكم في الموقف الذي يتم دراسة الأفراد فيه، الجماعة التجريبية تتعرض للمثير التجريبي، وقارن ردود أفعالهم بمجموعة أخرى من الأفراد لا تتعرض للمثير التجريبي، ويطلق عليها اسم الجماعة الضابطة (السروجي: 180).

كما تهدف إلى اختبار بعض الفروض التي يرغب الباحث في أن يتأكد من صدقها عن طريق التجربة، والبحوث التجريبية لا تزال قليلة في ميادين الاجتماعية، ويطلب (أودين) في مقاله الذي نشر تحت عنوان التجارب الميدانية والذي نشر بكتاب بحوث الخدمة الاجتماعية بضرورة الاهتمام بالبحوث التجريبية نظراً لأهميتها الكبرى في الوصول إلى حقائق ونظريات علمية يمكن الاستفادة بها في المجالين النظري والتطبيقي للخدمة الاجتماعية (أحمد مصطفى خاطر: 63).

وتهتم البحوث التجريبية أكثر من غيرها من أنواع البحوث الأخرى بمفهوم السببية والتي تعني أن التغيير في المتغير التابع راجع فقط إلى تأثير المتغير المستقل، ولعل ذلك يمثل صعوبة بالغة بالنسبة للعلوم الاجتماعية على العكس من العلوم الطبيعية التي يستطيع الباحث من خلالها التحكم في المتغيرات الدخيلة والتي يمكن أن تؤثر في المتغير التابع بجانب المتغير المستقل.

وتعتبر بحوث التجريب واحدة من الخطوات الهامة في البحث الاجتماعي وحلقة جوهرية في سلسلة البحوث الاجتماعية المتباينة، ذلك لأن بحوث التجربة أولاً تعمل على اكتمال دائرة البحث الاجتماعي، حيث توفر الدراسات الاستطلاعية الحقائق التي تحقق وصف الظواهر الاجتماعية والسلوكية من خلال زيادة الألفة مع الظواهر وبلورة الفروض التي يمكن اختبارها في بحوث أكثر عمقاً لتأني الدراسات الوصفية لتحديد العوامل المؤثرة في الظاهرة، وبالتالي تحديد دقيق لمختلف متغيرات الظاهرة، ثم تأتي الدراسات التجريبية لتكتمل الحلقة باختبار العلاقات بين هذه المتغيرات، وبالتالي تحقق الاستمرارية في البحث وتناول الظواهر الاجتماعية، وتعين العلوم الاجتماعية على تحقيق واحد من أهدافها الرئيسية وهو تفسير الظواهر التي تهتم بدراستها وذلك من خلال ما تختص به بحوث التجريب من مهام التحقق من الفروض باعتبارها تفسيرات مبدئية في حاجة إلى تدعيم. (جلبي، 1986: 167)

3- أساليب دراسة وتحليل الدراسات السوسيولوجية:

تفسر وتحلل الدراسات السوسيولوجية تبعاً للغرض الذي تهدف إليه ومنها الدراسات الاستطلاعية، الوصفية، التجريبية، التقييمية، ويجب أن يكون معلوماً أن اختيار التصميم الملائم يجنبنا الوقوع في الأخطاء، وأنه من المهم أن يسأل الباحث نفسه ما هي الأسئلة التي يريد الإجابة عليها؟ ولماذا يريد الإجابة؟ ومن سوف يعطيه الإجابة الوافية على أسئلته؟ فلو تمكن الباحث من تحديد ذلك كله فإنه يكون قد قطع شوطاً كبيراً في سبيل تكوين التصميم الملائم، فكل بحث منهج خاص به يسير على نهجه، والمنهج ترجمة للكلمة الإنجليزية (Method) وتستخدم لتشير إلى الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة حتى نصل إلى نتيجة معلومة ويرتبط المنهج الملائم للبحث ارتباطاً وثيقاً بكل من موضوع البحث من جهة وأهدافه من جهة أخرى وفيما يلي سنعرض أهم المناهج المتبعة في البحوث السوسيولوجية منها:

3-1 المنهج الوصفي:

من المعلوم أن المنهج الوصفي هو ذلك المنهج الذي يهتم بوصف الظواهر المعطاة، من خلال فهم ثوابتها، واستكشاف عناصرها الظاهرة. ومن ثم، يركز المنهج الوصفي في مجال التربية والتعليم على الملاحظة العفوية والمنظمة، وتحديد الفرضية، والبرهنة عليها استقراء واستنباطاً، يتمثل التحليلين: الكمي والكيفي. وبعد ذلك، يقوم الباحث بتحويل الفرضية إلى إشكاليات وأسئلة جوهرية، مع التأشير على محددات البحث، كالمحددات البشرية والزمنية والمكانية والمادية والمالية، واختيار العينة التمثيلية، واستعراض الدراسات السابقة في الموضوع، ونقدها نقداً علمياً موضوعياً. ولا بد للباحث أن يبين مقومات منهجه الوصفي، فيشير إلى الأداة الوصفية التي يستعملها في بحثه، هل يختار: الاستمارة، أو المقابلة، أو دراسة الحالة، أو الروايز، أو تحليل المضمون.. وغيرها وتعقب هذه المرحلة معالجة المعطيات والبيانات في ضوء الإحصاء الوصفي والاستنتاج. وبعد ذلك، ينتقل الباحث إلى تحليل كل بند أو سؤال أو معلومة، من خلال الاستعانة بالجداول والإحصاءات والبيانات والدوائر والنسب المئوية، بغية تفسيرها، واستخلاص النتائج وتأويلها، مع تقديم التوصيات والاقتراحات. ويشترط في البحث العلمي الوصفي الناجع الابتعاد قدر الإمكان عن الذاتية والأهواء الإيديولوجية.

هذا، ويتميز المنهج الوصفي بأنه منهج مسحي، يقوم بدراسة شاملة لموضوع دراسته، وذلك بجمع البيانات والمعلومات والمعطيات المتعلقة بظاهرة معينة، مع تحليل الوضع الراهن لها في زمان ومكان معينين.

3-2 المنهج التجريبي:

يعتمد المنهج التجريبي على مقوم أساسي ألا وهو التجريب. ويعني هذا أن التجربة عند الفلاسفة التجريبيين، كدافيد هيوم، وجون لوك، واستيوارت ميل، وكلود برنار... هي المصدر الوحيد للمعرفة الإنسانية. ومن ثم، تنطلق المعرفة التجريبية من الملاحظة العلمية المركزة، مع تحويل الأفكار التخمينية إلى فرضيات علمية. وبعد ذلك، يلجأ الباحث إلى استعمال التجربة عدة مرات بهدف تحصيل النتائج اليقينية. ومن ثم، تتحول تلك النتائج المحصل عليها إلى قوانين علمية ونظريات علمية مجردة كلية، تصف في عمقها الظواهر التجريبية المدروسة في الواقع.

وإذا كانت العلوم التجريبية قد استفادت من المنهج التجريبي في بناء معطياتها العلمية، فإن العلوم الاجتماعية، قد حاولت بشكل من الأشكال تمثل خطوات المنهج التجريبي في بناء البحوث البيداغوجية والديداكتيكية. وإذا كانت الظواهر الطبيعية تستجيب بسهولة لشروط الضبط التجريبي؛ لكونها مادية، وملموسة، وثابتة، وخاضعة لقوانين السببية والحتمية، فإن الظواهر الإنسانية التي تتميز بالتجريد، والتغير، وعدم الثبات، والوعي، والإرادة... يصعب إخضاعها للإجراءات التجريبية المتبعة في المختبر أو غيره. إن هذه الصعوبة لم تمنع العلماء من التفكير في طرائق مناسبة.

والنتيجة هي تكيف المنهج التجريبي الفيزيائي مع خصوصيات الظواهر الإنسانية والاجتماعية. وهكذا، فقد أصبح المختبر هو البيئة الطبيعية لتواجد الظاهرة، والحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية، وأصبحت التجربة هي عبارة عن ملاحظة مقصودة وموجهة، هدفها خلق شروط أو ظروف خاصة، تمكن من الدراسة المنظمة لتأثير متغير أو مجموعة من المتغيرات على بعضها البعض. (خالد المير، 2001: 47-48)

فالمنهج التجريبي دراسة للعلاقات والتأثيرات السببية بين المتغيرات، وتفسير تلك العلاقات عن طريق التجريب والضبط والتحكم. بمعنى أن البحث التجريبي يعتمد على مجموعة من الأسس العامة التي تتمثل في المتغيرات، وضبط التجربة، وطرائق ضبط المتغيرات، والتصميمات التجريبية. ومن ثم، فالمتغير عبارة عن مكون رئيس في التجربة. وهنا، يتم الحديث عن متغيرين: متغير مستقل، ومتغير تابع. فالمتغير الأول هو الذي يحدث الأثر في الثاني، ويتحكم فيه تأثيرا وتوجيها وتجريبيا، مثل: (اثر حوادث العمل على الأداء الوظيفي). فمتغير الحادث هو الذي يؤثر في العامل الثاني، ويترك آثاره عليه. أي: إن المتغير المستقل (حوادث العمل) يتحكم في العامل الثاني، ألا وهو (أداء العمال). وتهدف التجربة إلى معرفة تأثير الأخطاء على كفاءة العمال. ولا يكفي أن نعرف المتغير المستقل والمتغير التابع في العملية التجريبية، وكيفية ضبط التجربة، بل لابد من معرفة مجموعة من العوامل التي قد تؤثر سلبا أو إيجابا على المتغير التابع، دون أن تكون ناتجة عن المتغير المستقل، مثل العوامل التي تنشأ عن المجتمع الأصل للعينة التجريبية، كمستوى التنظيم، والرقابة، والحالة الجسمية والانفعالية، والخبرات المهنية السابقة، بالإضافة إلى العوامل التي تنبع من إجراءات الاختبار التجريبي، كالمدة الزمنية المخصصة لإجراء التجربة، والتي قد يكون لها تأثير سلبي أو إيجابي حسب طبيعة الموضوع، والحالة النفسية المترتبة عن المشاركة في التجربة، كالاعتزاز بالنفس، وأثر الاختبارات القبلية، ومختلف الفحوص التقييمية. ناهيك عن العوامل التي ترجع إلى مثيرات خارجية، كدرجة الإضاءة، أو نسبة الضجيج والضوضاء، والتوقيت غير الملائم، والاختلاف في العمال المشاركين في التجربة، أو مواقفهم منها. ويعني هذا أن هناك مؤثرات خارجية، ومؤثرات تتعلق بالإجراءات التجريبية، ومؤثرات تعود إلى مجتمع العينة.

هذا، ويمكن ضبط المتغيرات عن طريق ثلاث آليات إجرائية: أولا، التحكم الفيزيقي في متغيرات التجربة، بمعنى مراعاة جميع العوامل الفيزيائية التي قد تؤثر سلبا على مسار التجربة، والتحكم فيها، كالتحكم في الإضاءة - مثلا - عن طريق إيجاد آلات أو أجهزة متطورة في منتهى الدقة والفعالية. ثانيا، التحكم الانتقائي، بإبعاد: "بعض الصفات أو الخصائص الذاتية للمجرب عليهم، والتي قد يكون لها تأثير غير مباشر على نتائج البحث. وأحسن طريقة يقترحها العلماء هي تكوين عينة البحث بانقاء زوجين متشابهين في كل شيء، ثم توزيعها عن طريق القرعة، بحيث يكون أحدها في المجموعة التجريبية، والآخر في المجموعة الضابطة. وهكذا، إلى أن نحصل على العدد المحدد في كل مجموعة. وبمثل هذه الطريقة يمكن ضبط عوامل، كالسن، والجنس، والميول، والاتجاهات، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي، والمستوى التعليمي، أو الحالة الجسمية، أو الخبرات السابقة، ومستوى الذكاء... والتي قد تؤدي إلى فوارق في النتائج في حال إهمالها، وعدم ضبطها. (خالد المير: 51-52)

ومن بين البحوث التي استفادت من المنهج التجريبي نجد مثلا البحوث التربوية التجريبية خاصة من الإحصاء الوصفي ولاستنتاجي. ومن المعلوم أن الإحصاء يؤدي وظائف عدة، كتلخيص المعلومات، وتصحيح البيانات، والمقارنة بين الظواهر والمتغيرات، وتحديد الخاصية. كما يبنّي الإحصاء على مجموعة من الخطوات، مثل: جمع البيانات والمعطيات والمعلومات، والتنظيم والتبويب، والتمثيل، والتحليل، والتفسير، واستخلاص النتائج. ومن جهة أخرى، يبنّي الإحصاء على مجموعة من أساليب المعالجة القياسية، التي لا يمكن الاستغناء عنها، فقد وظفها العلماء لتحصيل النتائج اليقينية، حيث تستعين المعالجة الإحصائية بمقاييس النزعة المركزية، ومقاييس التشتت، ومقاييس الارتباط. (عبد الكريم، 2012: 274) ويقصد بالنزعة المركزية: "ميل أفراد المجموعة إلى التجمع عند مركزها، إذ نجد نسبة كبيرة من الأفراد يحصلون على درجات تشملها فئة معينة، وأن نسبة متناقصة منهم تحصل على درجات أقل، وأن نسبة مماثلة تحصل على درجات أعلى، وغالبا ما تتوسط الفئة ذات التكرار الأكبر التوزيع التكراري. (عبد الحميد جابر، 1977: 498). وتتضمن مقاييس النزعة المركزية كلا من: المتوسط الحسابي، والمنوال، والوسيط. فالمنوال هو: "أكثر الدرجات شيوعا في التوزيع، أو هو القيمة التي تقابل أكبر تكرار في المجموعة، فإذا فرضنا وبونا أعمار تلاميذ فصل في السنة الرابعة الابتدائية، فإننا نجد عادة العمر المنوالي 10 سنوات. أي: نسبة كبيرة من أطفال الصف الرابع أعمارهم عشر سنوات، ونسبة أقل من ذلك أكبر من

عشر سنوات. وقد نجد نسبة أقل أصغر من عشر سنوات. ولحساب المنوال يعمل جدول من عمودين، تسجل قيم الدرجات في أحدهما مرتبة تنازليا، ويكتب التكرار في العمود الثاني، ثم يقارن تكرار القيم المختلفة لتحديد أكثرها، وهي المنوال (عبد الحميد جابر: 499).

أما المتوسط الحسابي فهو الذي يقسم الدرجات على عدد الحالات، و" يشيع تداول هذا المقياس من مقاييس النزعة المركزية لسهولة حسابه، وسهولة فهم معناه، وهو يصف المجموعة وصفا أفضل من النوال؛ لأنه يستخدم جميع القيم في التوزيع، ويحسب بقسمة مجموع الدرجات على عدد الحالات،" أما الوسيط فيقصد به تلك النقطة التي تقع في: منتصف توزيع الدرجات، بحيث يسبقها نصف عدد الدرجات، ويعقبها النصف الآخر. الوسيط مقياس للوضع أكثر من كونه مقياسا للحجم أو المقدار، وهو مفيد على وجه الخصوص في وصف توزيع تكراري، عندما يحتوي على قيم متطرفة، وهو في هذه الحالة أفضل من المتوسط الحسابي، وسهولة حسابه تجعله أسلوبا مريحا في الاستخدام، ولكن يقل استخدامه عن المتوسط الحسابي؛ لأن معظم الأساليب الإحصائية قد اشتقت لتستخدم مع المتوسط الحسابي."

ومن جهة أخرى، تفيد مقاييس التشتت في قياس القيم المتطرفة، واختلاف قيم المتغير. بمعنى أنها تحسب الفوارق والانحرافات بين القيم، أو بين القيم وإحدى القيم المعبرة، " وتكون العمليات الإحصائية لمقاييس التشتت، أرضية أساسية لحساب العلاقة بين معطيين أو أكثر، كما هو الأمر في حساب معامل الارتباط بشكله البسيط والمتعدد، ومن أهم مقاييس التشتت، نذكر: التباين، والانحراف المعياري. فالانحراف المعياري هو: " تقدير مستقر لدرجة التباين أو التغير، وهو يدخل في حسابه جميع درجات التوزيع. فضلا عن ذلك، فهو لا يهمل الإشارات، ولكي يتخلص منها لجأ إلى تربيع الأرقام كخطوة في الحساب الذي يلزم له. والانحراف المعياري أوسع مقاييس التشتت انتشارا، وأصدقها تمثيلا للواقع. وبدلا من جمع الانحرافات بدون إشارات، تجمع مربعات الانحرافات، وتقسم على عدد الحالات، ثم يستخرج الجذر التربيعي للرقم الناتج، فيكون الناتج هو الانحراف المعياري المطلوب. ويسمى مربع الانحراف المعياري بالتباين، وهو القيمة التي نحصل عليها عادة، قبل استخراج الانحراف المعياري باستخراج الجذر التربيعي. " ويعني هذا أن الانحراف المعياري يساوي الجذر التربيعي لمجموع مربعات الانحرافات على عدد الدرجات. " وكلما كبرت قيمة الانحراف المعياري، كلما كان التشتت أو الانتشار كبيرا، وكلما صغرت هذه القيمة، كان التشتت صغيرا. (جميل حمداوي، 2013: 21)

أما مقياس الارتباط أو التعالق، فيقصد به: " درجة الارتباط بين متغيرين اثنين، أو بين نوعين من المتغيرات. وإذا كان الأمر يتعلق بارتباط متغيرين فقط، سمي بالارتباط العادي، أما إذا كان الأمر يتعلق بارتباط متغير بأكثر من متغيرين، سمي بالارتباط المتعدد الأطراف.

وبفيد الارتباط في الحالة التي يكون حجم مجتمع البحث كبيرا، أو في الحالة التي يرصد فيها الباحث عددا كبيرا من المتغيرات، وتكون الرغبة في قياس درجة العلاقة بينها؛ بحيث إن تلك العلاقة يمكن أن تكون دالة بالإيجاب أو السلب (عبد الكريم غريب: 280).

وعليه، فحينما يحاول الباحث إجراء تجارب في ميدان التربية والتعليم، فعليه أن يختار العينة التمثيلية للمجتمع الأصلي، سواء أكانت تلك العينة عشوائية أم منظمة أم طبقية، أم كانت أيضا عينة الوضعيات. و" تجسد كيفيات اختيار أفراد المشتركين للبحث وأنواعهم مسألة شائكة نسبيا، يصعب ضبطها بالكامل في كثير من الأحيان لأسباب متعددة، تتعلق بمعطيات وظروف بيانات المنهج. وعلى كل حال، مهما كانت أنواع العينات المختارة، فإن أفضل طريقة متعارف عليها لاختيار أفراد أو مواضيع البحث هي العشوائية. وبينما تتوفر أساليب الاختيار العشوائي في معظم المراجع الإحصائية، فإنها تهدف في العموم إلى تزويد مجموعات البحث بعينات عضوية ممثلة لمجموع السكان أو الشرائح السكانية لعينات البحث."

فالمنهج التجريبي هو أكثر المناهج العلمية دقة وضبطا وتحكما، مادام يستعين بالإحصاء الوصفي والاستنتاجي، وذلك في دراسة المتغيرات المستقلة والتابعة، وفق تصاميم تجريبية متنوعة.

3-3 المنهج التاريخي:

يهدف المنهج التاريخي إلى دراسة ظاهرة ما في تعاقبها الزماني والمكاني، من خلال رصد خلفياتها التاريخية، ومعرفة تطورها على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والثقافية والدينية. بمعنى أن المنهج التاريخي يقوم على مجموعة من المفاهيم، مثل: الحقبة التاريخية، والضرورة، والتطور، ومعرفة التفاصيل، وتحديد الظروف التاريخية الخاصة والعامة. ويرتبط التاريخ بدراسة الماضي في علاقته بالحاضر والمستقبل. وهنا، تقوم الوثائق بدور كبير في استنتاج الأحداث والوقائع، قصد فهمها وتفسيرها وتأويلها، وبناء المعطى التاريخي تشريحا وتركيبا. ومن ثم، فمن الضروري قراءة الوثائق المعطاة، اعتمادا على النقد الداخلي (قراءة الوثيقة من الداخل)، والنقد الخارجي (قراءة الوثيقة من خلال ربطها بصاحبها). ويذكرنا هذا النقد العلمي التاريخي بعلم الجرح والتعديل لدى علماء الحديث في دراسة

السند والمتن. ومن هنا، يمكننا – مثلا- معرفة تطور التعليم عند المسلمين، أو التيقن من مراحل تطور النظريات التربوية في بلد معين.

كما لا يفوتنا أيضا أن علم التاريخ يعتمد على جمع المعلومات والبيانات، لتسخيرها في كتابة التاريخ. ومن بين هذه الوثائق الأساسية، الاستعانة بالآثار، والحفريات، والمعاهدات، والاتفاقيات، والخطب، والنقود، والمؤتمرات الصحفية، والوثائق المباشرة، والرسائل، والمراسيم، والصور، والتسجيلات...

وهناك وثائق ثانوية كالمصادر، والمراجع، والكتب، والمذكرات، والتراجم، والسير، والمقالات الرقمية والورقية... وبالتالي، يستند المنهج التاريخي إلى مجموعة من المراحل العلمية، منها: تحديد فرضية البحث، واختيار الوثائق، وانتقائها، وتوثيقها داخليا وخارجيا، وذلك بعد جمعها وحصرها وتقييمها، والتحقق من صحتها في ضوء محطات ومعايير ومقاييس علمية. وبعد ذلك، تأتي عملية القراءة، والفهم، والتفسير، والتأويل، والاستنتاج بشكل مركب ومنظم ومنسق. ويمكن للباحث أن يقدم مجموعة من التنبؤات التفسيرية الهامة، بناء على ما توصل إليه من نتائج على مستوى التركيب والاستنتاج.

4-3 المنهج المقارن:

إذا كانت العلوم التجريبية تعتمد كثيرا على التجربة في تأكيد صحة الفرضية من بطلانها، من أجل استصدار قانون أو نظرية مجردة كلية، فإن العلوم الإنسانية بصفة عامة، بما فيها علوم التربية، حيث تعدد على المقارنة بين الظواهر، عن طريق إيجاد عناصر الاختلاف والاشتراك، ورصد أوجه التأثير والتأثر، وتبيان مختلف المصادر التي تتحكم في تلك الظواهر المدروسة. ويصنف إميل دوركايم المنهج المقارن بأنه نوع من التجريب غير المباشر.

فالمنهج المقارن هو الذي يعقد مقارنات بين الظواهر المعطاة، بغية تبيان أوجه الاختلاف والاختلاف بينها، ولابد أن تكون تلك الظواهر متماثلة أو متشابهة في بنيتها وتركيبها ووظيفتها، كأن نقارن- مثلا -النظام التربوي المغربي بمثيله الجزائري، أو نقارن الكتب التعليمية المغربية بنظيرتها المصرية أو اللبنانية. وهكذا، دواليك.

4- خاتمة:

ختاما يمكن القول أن علم الاجتماع يعتمد على تنوع الدراسات ومرونتها في التحليل لفهم الظواهر الاجتماعية بدقة وعمق، فكل نوع من أنواع الدراسات سواء كانت وصفية تحليلية مقارنة أو تجريبية يقدم أداة مهمة لفهم جانب معين من الواقع الاجتماعي، كما أن اختيار طريقة التحليل المناسبة سواء كانت كمية نوعية مختلطة يعزز من قدرة الباحث على تفسير النتائج واستخلاص استنتاجات علمية موثوقة.

إن فهم هذا التنوع في الدراسات وطرق التحليل يساعد الباحثين على تصميم دراسات أكثر فعالية وواقعية، كما يساهم في تطوير المعرفة الاجتماعية ومواجهة التحديات المجتمعية بطريقة علمية.

5- قائمة المراجع:

- إحسان محمد حسن: الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1982،
- احمد مصطفى خاطر: استخدام المنهج العلمي في بحوث الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2008.
- جابر عبد الحميد جابر: علم النفس التربوي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، طبعة 1977.
- جبل، عبد الناصر عوض احمد: مناهج البحث الاجتماعي دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، 2019،
- جميل حدادوي، البحث التربوي مناهجه وتقنياته، مطبعة الجسور، ط1، وجدة، 2013.
- خالد المير وإدريس قاسمي: مناهج البحث التربوي، سلسلة التكوين التربوي، رقم: 16، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 2001.
- السروجي وآخرون: التنمية الاجتماعية، مركز نشر جامعة الحلوان، مصر 2001.
- عبد الكريم غريب: منهج البحث العلمي في علوم التربية والعلوم الإنسانية، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2012.